حفل تأبين الدكتور مروان المحاسني 15 حزيران 2022

كلمة أصدقاء الفقيد: الدكتورة ليانة مشوِّح

السيد وزير العالي الأستاذ الدكتور بسّام ابراهيم ممثل السيدة الدكتورة نجاح العطار نائبِ رئيس الجمهورية العربية السورية

الأساتذة المجمعيون زملاء الفقيد

السيدة الفاضلة الدكتورة فريدة النابلسي المحاسني رفيقة درب فقيدنا في السرّاء والضرّاء

السيدات والسادة الحضور....

يعزّ عليّ أن أقف بينكم هذا الموقف الحزين لأَرثيَ عالماً ما اعتلى يوماً هذا مِنبراً إلّا وكان سيِّدَه. يعزّ عليّ أن أقف له راثية وأنا التي كنت أخشى في قرارة نفسي يوماً كهذا، بل لم أكن أتخيّل يوماً آتي فيه إلى المجمع ولا يكون فيه مُترأساً لجانَه العلمية، ومَعيَّناً معرفياً لا يُشق له غبار، ومحرِّضاً على النظر إلى أبعد من الدلالات المباشرة للكلمات، وعلى سبر أغوار المصطلحات الأجنبية وتفكيكها وتحليلها لتقريب مدلولاتها من الأذهان وتسهيل إيجاد مقابلات عربية فصيحة لها. وأثناء جلسات عملنا، كان رحمه الله مرجعاً موسوعياً في المصطلحات الطبية كما في علوم البيئة والفنون والآداب وألفاظ الحضارة. عالم موسوعي أبعد ما يكون عن التزمّت والانغلاق الفكري، لا يجد غضاضة في الاعتراف بخطأ، أو التراجع عن رأي أو موقف جانَب فيه الصواب.

أول عهدٍ لي به كان في العام 2005 في منزل الدكتور عزيز شكري رحمه الله. جلست إلى جانبه على استحياء، عرّفته بنفسي، فسألني عن اختصاصي الدقيق...اختصرت في إجابتي كي لا أُثقل عليه ظناً مني أن سؤالَه كان من باب اللباقة و"فتح الحديث" ليس إلّا. فما شأن الطبيب الجراح بالنحو التوليدي وبنظرية "العمل والإحالة".... لكنه استزادني في الشرح... وما لبثنا أن خضنا في نقاش علمي عن العقل واللغة وآليات الاكتساب اللغوي وتفرّد الإنسان بتلك الملكة الفطرية التي حباه الله بها.... وأوغلنا في حديثٍ كلانا به شغِف. وعلى هذا المنوال تلازمنا ودأبنا طوال أربعة عشر عاماً، عملنا خلالها جنباً إلى جنب في لجان علمية متنوِّعة

كان يرأسها جميعاً بجدارة وحماس واقتدار. كما اجتمعنا طوال ما يزيد على عقد من الزمن على إنجاز مشروع معجميّ ثلاثيّ اللغة كان ثالث أعمدته المجمعي الدكتور ممدوح خسارة رحمه الله.

كان الدكتور مروان المحاسني قادراً على أن يحوِّل الجلسات العملية إلى مزيج عجيب من الفائدة والمتعة: فائدةٌ نغترفها من معين علمه، وواسع معرفته، وتعدِّد مشارب ثقافته؛ ومتعةٌ تُبهج بها الجلسةَ طلاوةُ حديثه وخفةُ ظلّه، لا سيما عندما يستذكر أبياتاً حفظها أو أمثلة شعبية اختزنتها ذاكرة طفولة سعيدة، أو طقطوقة دمشقية يرِفُّ قلبه الكبير عند استعادة مفرداتها البسيطة الخفيفة. تفاصيلٌ صغيرة كان ينثرها بعفوية وبراءة طفولية لتبعث الدفء في أوصال جلسة علمية مغرقة في الجدية.

توقّعت أن أدعى للتحدث باسم زملاء الفقيد، لكنني دعيت للتحدث باسم "أصدقاء الفقيد". فأي شرف هذا الذي أُسبِغَ عليَّ أنك عددتني صديقة لك، وأنت كنت لي أباً وأستاذاً ومثلاً أعلى. مِنَ الدكتور المحاسني استقيت دروساً في التّروي والتسامح. ولطالما كانت حماستي في عرض أفكاري يُقابلها من لدُنه هدوء ورزانة وتصويب لبق. وكم من مرة وجدت في فكره النيّر القبول والدعم والسند.

أيها الأب والصديق العزيز، أيها الرجل الذي أحبه كلُّ من عَرِفهُ عن قرب، لدماثة خُلُقِه، ولباقته، وظرفه، وجمال روحه ولطف معشره، وترفّعه عن الصغائر والدنايا والشبهات. كم كنت فطِناً لمّاحاً تُحسن قراءة النفوس! أيها النبيل بتواضعك، الكبير بعلو قدرك، ما غرّك كريمُ منبتٍ ولا رِفعةُ مكانة، وما طمِحت يوماً بمنصبٍ ولا سَعَيت لكسبٍ ماديّ. إذا كان الردى قد غيّبك عنّا، فإنّ حضورك بيننا فكراً نيّراً وأخلاقاً نبيلة وسلوكاً راقياً باق فينا نبراساً نهتدي به. تركت فراغاً لا أَحسَبُ أنَّ مِن اليسير علينا أن نملأه، وأثراً أنّى للزمن أن يمحوَهُ أو يُبهِتَ ألقَه. لطالما شعرتُ أن شرف عضويتي في هذا المجمع مسؤوليةٌ جليلةٌ ملقاةٌ على عاتقي. لكنّ المسؤولية عظُمت حين ترجّلت. رحمك الله وطيب ثراك، وإنا لله وإنا إليه راجعون.